الأخلاق عند ديفيد هيوم

م. م هبه عبد إبراهيم

hebaabd@uomustansiriyah.edu.iq

إن الفلاسفة السابقون على هيوم اختلفوا فيما بينهم في النظره إلى طبيعة الخلاق والاساس الذي ترتكز عليه فهناك من يرى انها تقوم على العاطفة وهناك من يرى انها تقوم على العقل ولقد ادرك هيوم هذا الاختلاف وعبر عنه في قوله " لا شيء تعتاده في الفلسفة وحتى في الحياة العادية أكثر من أن نتحدث عن صراع العاطفة والعقل" ومنه يمكن التساؤل حول اقتراحه هيوم لحل مشكلة صراع بين العاطفة والعقل في الأخلاق.

يرى أن سلوك الإنسان عمل آلي محض وليس هناك ما يسمى بالإرادة الحرة فأن عرفت طبيعة الإنسان امكنك أن تتنبأ بسلوكه في كل مواقفه المقبلة وبرغم أن الدافع الأساسي لسلوك الإنسان هو اللذة والألم وبهما نميز بين الخير والشر، وما يدفع الإنسان إلى العمل هي المشاعر والعواطف وهو يقسم هذه المشاعر إلى قسمين هادئة وعنيفة الأولى نشمل الجمال والقبح، والثانية تشمل الحب والكره والحزن والسرور الغرور والتواضع ومادامت العاطفة هي مصدر افعالنا فلا يصح أن يكون العقل حكما أخلاقيا انما المرجع الذي يجب أن نحتكم إليه هو الغريزة الإنسانية التي تتمثل في الشعور واللذة والألم والفضيلة هي ما يبحث في النفس الرضا واللذة ومعنى ذلك أن الخير هو ما ينفع ولكن يحذرنا هيوم أن نأخذ كلمة المنفعة بمعناها الفردي يل يقصد المنفعة العامة أي أن ما يعود بالخير على اكبر عدد من الناس أفضل مما ينفع فردا واحدا فقط ويقرر أن ثواب الفضيلة هو اللذة وعقاب الرذيلة هو الألم.

فخلاصة القول أن الأفعال الخلقية لا يبررها العقل وزلا حب الذات بل يبررها الشعور العاطفي لأن الخلاق ديفيد هيوم لا تقوم على مبادئ ثابتة أو قيم مطلقة، بل إنها تتسم بالنسبية والتغير تبعاً للظروف والسياقات التي تحيط بالفعل الإنساني. فالفعل لا يُعد فاضلاً أو رذيلًا في

ذاته، وإنما تُستمد دلالته الأخلاقية من التأمل في نتائجه وآثاره بعد وقوعه. وعلى هذا الأساس، فإن الفضيلة والرذيلة ليستا محددتين سلفاً للسلوك، بل هما بمثابة انطباعات أخلاقية لاحقة، وليستا قوى موجهة للفعل الأخلاقي قبل حدوثه.

أثارت أفكار ديفيد هيوم ونظرياته موجةً واسعة من الجدل والنقاش بين الفلاسفة والمفكرين، سواء من معاصريه أو من اللاحقين له، ولا يزال أثر هذا الجدل مستمراً حتى يومنا هذا. وقد انصبّت التساؤلات حول مدى صحة الاتهامات الموجهة إليه بالإلحاد، وكذلك حول طبيعة نظرياته في المعرفة وفي الطبيعة البشرية، وهي النظريات التي شكّلت لاحقاً الأساس الذي استندت إليه بعض الاتجاهات في علم النفس الحديث. ولعلّ الأثر الأعمق لفكره تجلّى في ما أحدثه من تحولات جذرية في مسارات الفلسفة الأخلاقية الحديثة، من خلال ما طرحه من رؤية تجعل من الأخلاق نتاجاً للانفعال لا العقل، مما ألقى بظلاله على فهم العلاقة بين الأخلاق وسلوك الأفراد والمجتمعات، بل وسلوك السلطة الحاكمة أيضاً.